المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

استعارات الخطاب السياسيّ
دراسة إدراكيّة

Political discourse metaphors
a cognitive study

إعداد

منى بنت خالد صتّان الرويلي

طالبة دكتوراه ـ قسم اللغة العربيّة وآدابها - تخصّص النحو واللغة
في جامعة الملك سعود- كليّة الآداب ـ المملكة العربية السعودية

الجزء الثاني (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

استعارات الخطاب السياسيّ: دراسة إدراكيّة

منى بنت خالد صتّان الرويلي

طالبة دكتوراه ـ قسم اللغة العربيّة وآدابها - تخصّص النحو واللغة ـ في جامعة الملك سعود- كليّة الآداب ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : mona1435mona1435@hotmail.com

الملخص

يستند البحث إلى المدخل الإدراكيّ في مقاربة الخطاب السياسيّ، من خلال نظريّة مخصوصة هي نظريّة التصوّرات الاستعاريّة، ويكتسب أهميّته من بحثه في التصوّرات من خلال اللغة التي هي، وفق هذا المنظور، مفصحة عن التصوّر غير منفصلة عنه، وإحدى البراهين الموصلة إليه بآليّات علميّة بعيدة عن الحدوس غير المؤسّسة علميًّا.

تهدف الدراسة إلى تجلية أهميّة المدخل الإدراكي في الاتّصال بالخطاب السياسيّ فحصًا ودراسة وتحليلًا، وذلك من خلال رصد أبرز الإضافات التي تقدّمها نظريّة التصوّرات الاستعاريّة لفهم مرامي الخطاب السياسيّ المعلنة والمضمرة، والتنبّه، أيضًا، إلى دور الخطاب السياسيّ في إيقاظ هذه النظريّة على مواطن القصور التي ينبغي عليها العمل على تلافيها وإصلاحها.

يستند البحث إلى فرضيّة مؤدّاها: إذا كان الخطاب السياسيّ يستبطن بالضرورة إيديولوجيّات معيّنة، فإنّ تسليط الضوء عليها من الناحية الإدراكيّة سيجعل من هذه الأخيرة عملًا نقديًّا قادرًا على القبض على إيديولوجيّات الخطاب السياسيّ، ومؤهّلًا لإماطة اللثام عن مغالطاته وآليّاته في التضليل والتلاعب، وما هو أكثر أهميّة من ذلك أنّه يقوم بهذا العمل وهو مستمسك بآليّات علميّة ذات وثوقيّة؛ لانطلاقها مما تبوح به اللغة، وما تطلقه الألسن.

من أبرز النتائج التي وقف عليها هذا العمل أنّ الدراسات المرجعيّة المؤسّسة للدراسة الإدراكيّة للخطاب السياسيّ كانت ذات طبيعة نقديّة، لأنّها تدرس اللغة في تقاطعها مع السلطة والواقع.

الكلمات المفتاحية: التصوّرات الاستعاريّة، الاستعارة، الخطاب السياسيّ، اللسانيّات الإدراكيّة.

Political discourse metaphors: a cognitive study

Mona bint Khaled Sattan Al-Ruwaili
Department of Arabic Language and Literature - Specializing in Grammar and Language - at King Saud University - College of Arts - Kingdom of Saudi Arabia
Email: mona1435mona1435@hotmail.com

Abstract

The research is based on the cognitive approach to political discourse, through a specific theory, which is the theory of metaphorical perceptions. Intuitions that are not scientifically established.

The study aims to demonstrate the importance of the cognitive approach in communicating with the political discourse by examining, studying and analyzing it, by monitoring the most prominent additions provided by the theory of metaphorical perceptions in order to understand the stated and implied goals of political discourse, and also paying attention to the role of political discourse in awakening this theory to the deficiencies that should be addressed. She must work to avoid and fix it.

The research is based on a hypothesis: If the political discourse necessarily implies certain ideologies, shedding light on them from the cognitive point of view will make the latter a critical work capable of capturing the ideologies of political discourse, and is qualified to reveal its fallacies and mechanisms of misleading and manipulation, and what is more important From that, he performs this work while adhering to reliable scientific mechanisms. For its release from what the language reveals, and what the tongues release.

One of the most prominent findings of this work is that the reference studies establishing the cognitive study of political discourse were of a critical nature, because they study language at its intersection with power and reality.

Keywords: metaphorical perceptions, metaphor, political discourse, cognitive linguistics.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

يحسن البدء بتحديد نطاق البحث بما يكشف عن القضايا القابلة للعرض والمناقشة في إطاره، وذلك بتحديد أهميّته، والمنهج المتّبع فيه، وأهدافه، وأبرز تساؤلاته.

أهميّة الموضوع:

تتعدّد المقاربات التي تطرق الخطاب السياسيّ، وتروم تدبّر مواقفه، وفحص إيديولوجيّاته، ومن المقاربات الحديثة نسبيًّا في هذا المجال المقاربة الإدراكيّة، ممثّلة بنظريّة التصوّرات الاستعاريّة على نحو ما صاغها جورج لايكوف ومارك جونسون في كتابهما (الاستعارات التي نحيا بها)، ويستند إليها هذا العمل في محاولة فهم الأساس التصوّريّ الذي تصدر عنه الخطابات السياسيّة عبر السعي إلى المساس بما هو أكثر جوهريّة وفاعليّة في العمل السياسيّ إجمالًا، ونعني بذلك ما يعتمل في الذهن من مخطّطات، وإيديولوجيّات، ومسارات عمل وتوجيه.

المنهج:

يستند هذا البحث إلى النظريّة التصوّريّة للاستعارة، وهي نظريّة تتخذ من اللغة دليلًا على ما تكنّه التصوّرات، وفق آليّات معلومة، وسنن بحث مرسومة، وتأتي أهميّة الاستناد إلى اللسانيّات الإدراكية من كونها تتيح مقاربة التصورات من خلال اللغة بآليّات علميّة بعيدة عن الحدوس والتأمّلات. والمجال السياسي، بدوره، يضفي أهمية خاصّة على مقاربة التصورات الاستعاريّة، وفقا لما تفترضه الدراسة، لكونها صادرة عن ذوات متنفّذة، وقادرة على الفعل بقولها، أو تسعى إلى ذلك على الأقل.

الأهداف:

يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف يمكن إجمالها فيما يلي:

١. تقليب النظر في الوظائف التي تقوم بها الاستعارة في الخطاب السياسيّ.

٢. الوقوف على المعمار النظريّ الذي يمكّن المجال اللسانيّ الإدراكيّ من الاتّصال بالخطاب السياسيّ فحصًا وتحليلًا.

٣. النظر في جدوى هذه المقاربة من خلال البحث في المسائل التي يمكن أن تثيرها اللسانيّات الإدراكيّة، ممثّلة بنظريّة التصوّرات الاستعاريّة، في سعيها إلى فهم الخطابات السياسيّة وتحليلها.

أسئلة الدراسة:

من أبرز الأسئلة التي يتطرّق إليها هذا العمل:

١. ما النتائج التي يمكن أن تصل إليها اللسانيّات الإدراكيّة في دراستها للخطابات السياسيّة من ناحية استعاراتها؟ وأيّ آثار يُتوقّع أن تُسفر عنها؟

٢. ما الذي تقدّمه هذه النظريّة لطرفي الخطاب السياسيّ (المسؤول السياسيّ، والجمهور)؟

٣. ما الذي يضيفه الخطاب السياسيّ، بما يتميّز به من خصائص، إلى التحليل الإدراكيّ للتصوّرات الاستعاريّة؟

الدراسات السابقة:

ثمة عدد من الدراسات التي قاربت المجازات في الخطابات السياسية، منها:

– كتاب: حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، لجورج لايكوف، ترجمة عبد المجيد جحفة، ونشر دار توبقال في الدار البيضاء، عام٢٠٠٥م.

(الكتاب عبارة عن ترجمة لثلاثة مقالات، صدر المقال الأول منها بلغته الأصلية عام ١٩٩١م)

تمثل مقالات الكتاب تطبيقا لأهمية دراسة الخطابات السياسية بالنظر إلى ما تنطوي عليه من استعارات، فقد سعى المؤلف إلى أن يقدّم تحليلا للأحداث السياسية التي يدرسها من خلال وقوفه على الشبكة التصورية الاستعاريّة التي تتبناها السياسة المعينة، وموضوعات مقالاته الثلاثة هي: حرب الخليج، والموقف السياسي الأمريكي من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وحرب جورج بوش الابن على العراق. وفي كل منها حلل المجازات التي تبنتها السياسة الأمريكية، وبررت بها مواقفها.

– كتاب: لا تفكر في فيل: الخطاب السياسي بين المحافظين والتقدميين، لجورج لايكوف، ترجمة طارق النعمان، ونشر المركز القومي للترجمة في القاهرة، ٢٠١٥م. (صدر بلغته الأصلية عام ٢٠٠٤م)

وضع المؤلف نظريته في الاستعارة في صميم الأحداث السياسية الأمريكية المتعلقة بالمكاسب التي حققها المحافظون (الجمهوريون) على أعقاب انتخابات عام ٢٠٠٤م، في مقابل تراجع انتخابات الحزب الديموقراطي (التقدمي) الذي ينتمي إليه، وبرهن على أن المسألة هنا تتعلق بالتأطير؛ أي البنى الذهنية التي تشكل الكيفية التي نرى بها العالم، وتنعكس على لغتنا. ولما كانت اللغة استعاريّة، فإن أطرنا التصورية لها هذا الطابع.

ومن هذا المنطلق حدد أطر الجمهوريين وأطر الديموقراطيين، مبينا أن هزيمة الديموقراطيين كانت نتيجة فقرهم التأطيري. وهو يقدّم هذا العمل ليكون دليلا ميدانيا للعمل، يهتدي به الناشطون والمعنيون بالمجال السياسي؛

لذا تكثر فيه الصيغ التوجيهية التي تربط إحداث التغيير الاجتماعي المنشود بتغيير الأطر، ومن ثم تغيير اللغة.

- بحث: التأريخ عبر الاستعارة: مصر قبل الثورة في خطب الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات (١٩٧٠- ١٩٨١)، لعماد عبداللطيف، نُشر في مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، مج٦٧، ع١، يناير ٢٠٠٧م، ص٦٥- ٩٩.

تناول الباحث تأريخ السادات للأحداث التي مرت بها مصر في العصر الحديث، وتعامل معه على أنه صنف مخصوص من التأريخ، أسماه: تأريخ القادة، ودرس الاستعارة بوصفها إحدى الأدوات الرئيسة فيه، وركز على إبراز وظيفة الاستعارة في صياغة توجهات الشعب المصري بالكيفية التي يريدها السادات، وإحداث ردات فعل معينة تجاه بعض الجماعات.

- كتاب: الاستعارة في الخطاب، لإيلينا سيمينو، ترجمة عماد عبداللطيف، وخالد توفيق، نشره المركز القومي للترجمة في القاهرة، ٢٠١٣م. (صدر بلغته الأصلية عام ٢٠٠٨م).

خصصت المؤلفة فصلا من الكتاب لدراسة الاستعارة في الخطاب السياسي، تناولت فيه نماذج من الخطابات السياسية الغربية المعاصرة، مبينة أبرز الاستعارات الدائرة فيها، ودور تلك الاستعارات في إضفاء الشرعية أو نزعها، وتمثيل الأحداث والمواقف؛ بغية إحداث تأثيرات إقناعية معينة.

- كتاب: الاستعارات التصوّريّة وتحليل الخطاب السياسيّ، لمحمّد الصالح البوعمرانيّ، نُشر في دار كنوز المعرفة في عمّان، عام ٢٠١٥م.

يشتمل الكتاب على جانب نظري تطرق فيه المؤلف إلى مسائل نظرية، من بينها: تحليل الخطاب السياسي في ضوء الرؤيـــة الإدراكيـــة للمجـــاز، وجانبٍ تطبيقي حلل فيه مجازات خطابات شخصيات رئاسيّة، كجمال عبـــد الناصر، والحبيب بو رقيبة. وخطابات المقاومـــة ممثّلـــة بخطابـــات ياســـر عرفات، وكذلك خطابات إحدى مثقفات تونس في الفايسبوك، وغيـــر ذلـــك. وكل هذا في إطار الرؤية الإدراكية للاستعارة. وانتهى إلى نتائج عديدة، من أبرزها: أن الاستعارة يمكن أن تكون آلية دعوية تمكّن السياسي من نشـــر أيديولوجياته الخاصة، ودعايته الحزبية.

تلتقي الدراسات السابقة في عنايتها باستعارات الخطابات السياسية من وجهة النظر الإدراكية، وتتقاطع في جوانب متعددة، منهـــا: الالتفـــات إلـــى الوظيفة الإقناعية للاستعارات، وما تتسم به من قوة على الفعـــل والتغييـــر بصدورها عن الشخصيات السياسية، إضافة إلى دورها في السيطرة، ونزع الشرعية، أو إضفائها. ورغم الاختلاف بينها في دراسة الخطابات السياسية في الشرق أو الغرب، فإنها تنزع إلى مقاربة الخطـــاب السياســـي الحـــديث المتمثل في خطابات أصحاب السلطة غالبا.

ويتقاطع البحث الذي نسعى إلى إنجازه مع هذه الدراسات في بعـــض المسائل، ويستثمر ما توصّلتْ إليه من نتائج في مناقشة مناطق الجدة التـــي يبتغي الولوج فيها، وتتمثّل في التأصيل النظريّ للمدخل الإدراكي في دراسة الخطاب السياسيّ من خلال نظريّة محدّدة هي التصوّرات الاستعاريّة وذلـــك عبر استقراء الأعمال التطبيقيّة، لا سيّما أعمال الروّاد من أمثـــال جـــورج لايكوف، وتسليط الضوء على البعد النقديّ في هذه المقاربـــات مـــن حيـــث دواعيه وآليّاته ونتائجه.

١. من وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي:

ثمّة وظائف عامّة يمكن أن تحقّقها الاستعارة في الخطاب، وقد عُنيت إيلينا سيمينو (E. Semino) بهذه الوظائف، وسعت إلى ربطها بوظائف اللغة التي رصدها مايكل هاليداي (M. Halliday)[١]. وتفترض دراستي هذه أنّ الاستعارة تتفاعل في الوظائف التي تحقّقها مع طبيعة الخطاب الذي تنخرط فيه، ولمّا كان الخطاب السياسيّ مرتبطًا بالإقناع، والإيديولوجيا، والتمثيل، وإضفاء الشرعيّة أو نزعها، فإنّ ذلك سينطبق على الاستعارات الحالّة فيه أيضًا. وممّا ينبغي أخذه في الحسبان أنّ الاستعارة، في كلّ ذلك، مرتهنة بإملاءات السياقات التي توجد فيها وتحدّد خياراتها، ومن هذه الناحية تبدو الوظائف عصيّة على الحصر، متمنّعة على التضييق، ويمكن إجمال بعضها فيما يلي:

١.١. الإفهام والتوضيح:

أساس قيام نظريّة التصوّرات الاستعاريّة ملاحظةُ ارتباط الاستعارة بالفهم، وبهذا المقتضى أضحت الاستعارة ظاهرة لغويّة وإدراكيّة حاسمة[٢]. تتجلّى أهميّة هذه الوظيفة في الخطاب السياسيّ من جهة أنّ المفاهيم السياسيّة مجرّدة غالبًا، ومعقّدة أيضًا؛ لارتباطها بمجموعة من العناصر، والأفراد، والعلاقات المترابطة، والأحوال المستقبليّة[٣]، وتضطلع الاستعارة بإجراء ما هو مألوف ومجرّب وقريب من الأفهام على المواضيع السياسيّة،

---

(١) ينظر: إيلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة: عماد عبداللطيف، خالد توفيق، القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٣م، ص٧٦-٨٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٧٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٠٨، وعبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهوميّة، مسقط: كتاب نزوى، ٢٠٠٢م، ص١٣١.

وقد عُني جوناثان تشارترس بلاك (J. Charteris-Black) في دراسته للاستعارة في الخطاب السياسيّ بهذا الجانب، وأدرجه ضمن الوسائل التي يلجأ إليها السياسيّون لإثبات عقلانيّة تفكيرهم، ومثّل لذلك بحديث كلّ من مارغريت تاتشر (M. Thatcher) ووزير الماليّة البريطاني جورج أوسبورن (G. Osborne) عن استعارات تستند إلى ميزانيّة الأسرة العاديّة للنقاش حول كيفيّة إدارة اقتصاد الدولة؛ لأن الناس يفهمون ما يخصّ ميزانيّاتهم أكثر ممّا يفهمونه عن الموارد الوطنيّة ومصروفاتها، وبهذه الطريقة تتوسّع المعرفة التي يمتلكها الجمهور وتستوعب قضايا سياسيّة جديدة أكثر تعقيدًا، على الرغم من أنّ الموارد الماليّة الوطنيّة والموارد الشخصيّة تعملان في الواقع بطريقة مختلفة(١).

٢.١ المحاجّة والإقناع:

قد تكون هذه هي الوظيفة الأكثر ارتباطًا بالخطاب السياسيّ؛ نظرًا لطبيعة السياسة القائمة على الصراع وتعدّد الأطراف المتنازعة على السلطة، فتتيح الاستعارات للسياسيّين بناء حجج مقنعة من شأنها أن تؤطّر القضايا بكيفيّة تخدم مصالحهم، فتُبرز الجوانب التي تحقّق نجاحهم الحجاجيّ، وتزيح الجوانب التي تعرقله إلى الخلفيّة(٢).

يرى تشارترس أنّ القوّة الإقناعيّة للاستعارات ربّما كانت بسبب تنشيطها لكلّ من الموارد الواعية واللاواعية للتأثير على استجابتنا العقلانيّة والأخلاقيّة والعاطفيّة؛ ولذلك تلعب دورًا اجتماعيًّا حاسمًا في إيصال

(1) Jonathan Chrteris-Black, politicians and rhetoric: the persuasive power of metaphor, 2nd ed, Basingstoke: palgrave macmillan, 2011, p35, 36.
(2) Ibid, p36.

الإيديولوجيا التي هي عمدة في الخطاب السياسي[١]. وإذا صحّ ذلك فإنّ البحث في الجوانب التي يسعى السياسيّ، عبرها، إلى تحقيق الإقناع بمشروعيّة وجوده وضرورته من شأنه أن يسلمنا إلى فهم المؤثرات الإيديولوجيّة الكبرى التي تخضع لها ذهنيّة المخاطبين، وتقودهم إلى الاقتناع بالخطاب.

وقد أجرت الباحثة وسيمة نجاح دراسة إدراكيّة على استعارات خطب "علي بن أبي طالب" السياسية في مدوّنة محدّدة، وبيّنت في منتهى البحث أنّ الاستعارات السياسيّة لدى "ابن أبي طالب" لم تكن منفكّة عن المقصد الحجاجيّ، ومأتى ذلك من جهتين: ترجع الأولى إلى تجذّر الاستعارات التصوّريّة في اللاوعي الجمعيّ المشترك بين الخطيب والمتلقّين. والثانية تعود إلى تأثير الاستعارات في النفوس بإخراجها للتصوّرات من طبيعتها المجرّدة إلى أن تكون في لباس المحسوس المشاهد[٢].

٣.١ التضليل والتلاعب:

كرّس منظّرو الاستعارة التصوّريّة جهودهم للكشف عن نسبيّة الحقيقة في أذهاننا، تبعًا لاستعاريّة تفكيرنا، من حيث إنّ هذه الاستعاريّة تلتقط جانبًا معيّنًا من الوقائع بكيفيّة معيّنة، وتخفي بقيّة الجوانب، وإدراكنا لهذه المسألة من شأنه أن يحرّرنا، لا من الاستعارات، فهذه لا مناص منها، وإنّما من هيمنة استعارات بعينها علينا، وإيهامها لنا بأنّها واقعنا الوحيد والحقيقيّ[٣]،

---

(1) Ibid, p50,51.

(٢) ينظر: وسيمة نجاح، الاستعاريّ في خطب علي بن أبي طالب السياسيّة، مجلّة حوليّات الجامعة التونسيّة، ع٤٨، ٢٠٠٤م، ص٢٧٣.

(٣) ينظر: جورج لايكوف، ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، ط٢، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠٠٩م، ص١٦٤ وما بعدها.

وهذا ما تفعله الاستعارات السياسيّة باستمرار، إذ ينزع السياسيّ إلى إيهام المتلقّي بأنّه يخبره بالحقيقة، ومن الشائع أن يستثمر في سبيل ذلك الأمثال الشعبية، والأقوال المأثورة ذات الحظوة لدى الجماعة؛ لما لها من تأثير عاطفيّ عليهم يدفعهم إلى تلقّي هذه الخطابات على أنّها حقائق مطلقة لا تحتمل المساءلة(١).

في هذا النطاق، درس عماد عبداللطيف التأريخ بالاستعارة في خطابات "محمّد أنور السادات" السياسيّة، وأشار إلى نزوع السياسيّ، بوجه عامّ، صوب ادّعاء أنّ التاريخ الذي يرويه هو الحقيقة وما سواه زيف، وتمكّن عبداللطيف بالاستعانة بنظريّة التصوّرات الاستعاريّة، من الإمساك بالتصوّرات التي قدّم بها أنورُ السادات مصرَ قبل الثورة. وكان عبداللطيف في سائر دراسته منكبًّا على تحليل السياقات التي تحتضنها تلك الاستعارات؛ لتعميق الوعي بطبيعتها من جهة، ولبيان الوظائف التي تنجزها من جهة ثانية، وانتهى إلى أنّ الاستعارات في هذه الخطابات تحرز وظائف تحريضيّة على النظام قبل الثورة وبقاياه بعدها، مثلما أنّها تسبغ الشرعيّة على النظام الحاليّ(٢).

ومن وجوه التضليل التي تتيحها الاستعارة، أيضًا، أنّها تمكّن السياسيّين من التعمية على ما لا يرغبون بإظهاره، وتزوّد تعبيراتهم بالغموض الذي يسمح لهم بالتنصُّل من مسؤوليّة بعض الأفعال، ويظهر هذا

(١) ينظر: محمّد الصالح البوعمرانيّ، السيميائيّة العرفانيّة: الاستعاريّ والثقافيّ، تونس: مركز النشر الجامعيّ، ٢٠١٥م، ص١٨٨.

(٢) ينظر: عماد عبد اللطيف، التأريخ عبر الاستعارة: مصر قبل الثورة في خطب الرئيس المصريّ الراحل محمّد أنور السادات (١٩٧٠-١٩٨١)، مجلّة كليّة الآداب-جامعة القاهرة، مج٦٧، ع١، يناير ٢٠٠٧م، ص٦٥-٩٩.

بشكل جليّ في بعض استعارات التشخيص التي يُسند فيها الفعل إلى فاعل غير بشريّ[١].

٤.١ التمثيل:

الاستعارة آليّة من آليّات التمثيل أو سوء التمثيل[٢]، فمن خلالها يقدّم السياسيّون تمثيلات إيجابيّة، أو مقدّسة أحيانًا، لأنفسهم، ولمؤيديهم، ولأطروحاتهم، وتمثيلات سلبيّة لمعارضيهم، وللمواقف التي لا تتفق مع سياستهم[٣]، وتتميّز هذه الوظيفة بأنّها تمثّل أرضيّة واسعة تُنجَز من خلالها أغراض متعدّدة، كالإقناع، وإضفاء الشرعيّة أو سلبها، ومقاومة الخصوم السياسيّين.

في هذا السياق، أجرت الباحثة التونسيّة منى حمريتة بحثًا موضوعه: تمثيل الخصوم السياسيّين الاستعاريّ في خطابات التيّار السياسيّ الإسلاميّ المتشدّد، واتّخذت من خطابات "رضا بالحاج" نموذجًا لذلك، فرصدت الميادين المصادر التي قدّم بها خصومه، وهي: الاغتراب، والشرّ، والشيطان، والحرب، وبيّنت أنّها مجالات متجذّرة بعمق في الثقافة العربيّة والإسلاميّة التونسيّة، ويأتي استثمار "بالحاج" لها من أجل تمثيل الخصوم السياسيّين بما هم أشرار يعملون لأجندات غربيّة، بخلاف الحزب الذي ينتمي إليه[٤].

---

(١) ينظر: سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص٢٢٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٧٨. ولحسن بوتكلاي، الاستعارة في الخطاب السياسيّ، ضمن أعمال ندوة: قراءات في الخطاب السياسيّ في جامعة ابن زهر بأكادير- كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة- مختبر اللغة والمجتمع والخطاب، ٢٠١٦م، ص٤٩٨.

(3) Chrteris-Black, politicians and rhetoric, p32.

(4) Mouna Hamrita, the metaphorical and ideological representation of the political opponent in the hardline islamist discourse in Tunisia, journal of research in humanities and social science, 4(6), 2016, p98- 102.

ويظهر هذا البحث أهميّة الاستعارة في التمثيل، وتكتسب التمثيلات الاستعاريّة أهميّتها السياسيّة، إضافة إلى ذلك، من كونها تحصر فهم القضايا السياسيّة في أبعاد معيّنة، فيصبح فهمها بطرق بديلة أمرًا أكثر صعوبة[١]. واستحواذ تمثيلات معيّنة على الذهن، عبر الفرض أو التكرار، أو بهما معًا، على نحو يجعلها تمثّل أرضيّة مشتركة تتقاسمها الجماعة وتؤمن بصدقيّتها يعمّق صلتها بالإيديولوجيا، بل إنّ هذا تعريف فان دايك لها؛ إذ بيّن أنّ الإيديولوجيا هي أساس التمثيلات الاجتماعيّة التي تشترك فيها الجماعة المعيّنة. والاستعارة تسهم في بناء كثير منها[٢]، ومن ثمّ فإنّ البحث في هذه الاستعارات يمكن أن يجيب عن أسئلة تتعلّق بالإيديولوجيا السياسيّة في المجتمع المعيّن، وتأتي مهارات السياسيّين باستغلالهم لهذه الإيديولوجيا الجاهزة للترويج لأنفسهم.

٥.١ التغيير والفعل:

الاستعارات التصوّريّة وسيلة لخلق الواقع، وليست مجرّد تمثيل له[٣]، ويحسن بنا هنا أن نميّز بين أمرين؛ تمييز إيضاح لا فصل:

الأول: توجيه الاستعارات لإدراكنا، ومن ثمّ نظرتنا إلى الواقع، بما يفضي بنا إلى نمط معيّن من السلوك. وذلك ما وصفه لايكوف وجونسون بقوّة الاستعارة على تحديد الواقع عبر شبكة الاقتضاءات التي تستلزمها، وهي بدورها تسلّط الضوء على بعض مظاهر الواقع وتخفي أخرى، ويؤدّي

---

(1) Chrteris-Black, politicians and rhetoric, p28.

(٢) ينظر: سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص٨٢.

(٣) ينظر: لايكوف، وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص١٥٩. ومحمّد مفتاح، مجهول البيان، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٩٠م، ص٤٩.

بنا قبولها إلى إدراك الواقع بكيفيّة معيّنة، وستتحدّد تبعًا لذلك أنشطتنا وممارساتنا[١].

الثاني: وجود جهة معيّنة لها قدرة على فرض هذه الاستعارات.

وهما جانبان مترابطان، يفترقان في أنّ الأوّل قد يكون نتيجة تراكم خبراتنا الثقافيّة تاريخيًّا على نحو يصعب معه العثور على النقطة الأولى التي فرضته، ويلتقيان في تلك الاستعارات التي تروّجها منابر لها القدرة على الفعل/ التأثير بقولها، وفي هذا السياق يقول لايكوف وجونسون: "إنّ عددًا كبيرًا من استعاراتنا نشأ في ثقافتنا منذ تاريخ طويل، إلا أنّ عددًا كبيرًا آخر منها فرضه أصلًا ممارسو السلطة، من زعماء سياسيّين ودينيّين، وزعماء مجال الأعمال والتجارة، والإعلان، ووسائل الاتّصال"[٢].

في هذه النقطة الأخيرة تحديدًا تتجلّى أهميّة وظيفة الفعل بالاستعارة في الخطاب السياسيّ، وقد برزت هذه الوظيفة بشكل جليّ في كتاب لايكوف: "الاستعارات التي تقتل"، أي تفعل وتترك آثارًا ماديّة، فالاستعارات كما يقول: "إن هي عزّزتها القنابل قد تقتل"[٣].

وقد عُني عماد عبد اللطيف بهذه الوظيفة (الفعل بالاستعارة) في الخطاب السياسيّ، فأبرز دورها في التحريض والتحفيز والإقصاء والتمييز والهيمنة وإضفاء الشرعية وإجهاض النقد، وذلك في كتابه: "استراتيجيّات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسيّ"[٤].

---

(١) ينظر: لايكوف، وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص١٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٣.

(٣) جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة: عبدالمجيد جحفة، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠٠٥م، ص٤٥.

(٤) ينظر: عماد عبداللطيف، استراتيجيّات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسيّ: خطب الرئيس السادات نموذجًا، القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ٢٠١٢م، ص١٢١.

وجليّ فيما تقدّم التداخل بين وظائف الاستعارة، وأنّها تُسلّط الضوء على خصائص الاستعارات التي تمكّن الخطاب السياسيّ من تحقيق مراميه، وربما كانت الخاصيّة الأشدّ حضورًا، فيما سلف، هي خاصيّة الإظهار والإخفاء، وهي آليّة من آليّات التحليل في نظريّة التصوّرات الاستعاريّة، وستنصرف العناية فيما يلي نحو الدور المسند إلى هذه النظريّة، بآليّاتها ومنطلقاتها، في فهم الخطاب السياسيّ.

٢. أهميّة نظريّة التصوّرات الاستعاريّة في مقاربة الخطاب السياسيّ:

يُنتج الذهن، الذي هو مدار بحث الإدراكيّات، أنساقًا سياسيّة، ومن ثمّ تكون نتائج بحث الأنساق التصوّريّة ذات أهميّة واعدة في فهم الحياة السياسيّة(١)، وفي هذا السياق يبيّن لايكوف أنّ دراسة التصوّرات السياسيّة والخطاب السياسيّ واقعة ضمن نطاق مهامّ اللسانيّات الإدراكيّة، وإن كان البحث في هذه المنطقة مازال ضئيلًا نسبيًّا بحسب قوله(٢).

في هذا السياق، طوّر بعض الدارسين مداخل إدراكيّة تعدّ الخطاب السياسيّ "بالضرورة نتاج عمليّات ذهنيّة فرديّة وجماعيّة، والاستعارة جزء مهمّ من تلك العمليّات"(٣)، وهذا المنظور الإدراكيّ، بما توصّل إليه من معلومات عن الذهن وآليّات اشتغاله، وعلاقته باللغة، أتاح تسليط الضوء على ما هو أكثر مركزيّة في الخطابات السياسيّة، أي الجانب المتعلّق بالأسطورة والاستعارة والتماهي العاطفي. وممّا ينبغي التنبّه إليه، أيضًا، أنّ

(١) ينظر: جورج ليكوف، السياسة الأخلاقيّة: كيف يفكّر الليبراليّون والمحافظون، ترجمة: طارق النعمان، القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠٢٠م، ص٥٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٤١.

(٣) سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص١٩٧، ١٩٨.

النجاح السياسيّ لا يتحقّق من خلال جداول العمل بمفردها ما لم يجر تنزيلها ضمن إطار أخلاقيّ قيميّ تؤمن به الجماعة؛ ليضفي المشروعيّة والمقبوليّة عليها، وهو ما يتجلّى عبر الروابط التصوّريّة التي تُعقَد بين القيم والسياسات المطروحة للتبنّي في الخطابات السياسيّة، والاستعارة إحدى الوسائل المفضية إلى ذلك(١).

تأسيسًا على ذلك، جدّ لايكوف في الدفاع عن كون الخطاب السياسيّ يستدعي _استدعاء حاجة وضرورة_ دراسة إدراكيّة، ومردّ ذلك إلى أنّ التأطير التصوّريّ يعمل بطريقة لا واعية غالبًا، إذ لا نكون، في أكثر الأحوال، مدركين لتفكيرنا الاستعاريّ الذي يطوّق تجربتنا، ويحدّد آفاقها، ويسيّر سلوكنا، ولهذا فإنه "من المهمّ أهميّة حاسمة أن يتمّ فهم الأبعاد المعرفيّة للسياسة"(٢)، وبيان ذلك أنّه لمّا كانت الاستعارة ذات دور حاسم في إدراكنا وسلوكنا، فإنّ القدرة التحليليّة على الإمساك بها، ورصد اقتضاءاتها في التجربة، وتتبّع الإيديولوجيّات التي تُصدّرها، من شأنه أن يحدّ من سلطتها، ويحفّز مساءلتها، ومن ثمّ قد يفضي، أو يمهّد على الأقل، إلى تغيير ما يجري(٣). وبهذا يكتسب التحليل الإدراكيّ للخطاب السياسيّ صفة سياسيّة، وذلك ما صرّح به لايكوف حين ذكر أنّ "الفعل التحليليّ هو فعل سياسيّ"(٤)، وتبعًا لذلك بات يُنعت بالناشط الإدراكيّ، وهو وصف يوافقه تماما كما يقول(٥).

---

(١) ينظر: ليكوف، السياسة الأخلاقيّة، ص٦١.

(٢) جورج لايكوف، لا تفكر في فيل: الخطاب السياسي بين المحافظين والتقدميّين، ترجمة: طارق النعمان، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥م، ص١١٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١١٠.

(٤) المرجع السابق، ص١١٠.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص١١٠.

وقد تمكّن في نشاطه الإدراكيّ من وصف الأنساق الأخلاقيّة السياسيّة للحزبين الأمريكيّين (الليبراليّ والمحافظ) بتفصيل لافت على حدّ وصفه، وذلك من خلال آليّات تحليل لسانيّة إدراكيّة[١].

لا تقتصر أهميّة التحليل الإدراكيّ للخطابات السياسيّة على إيقاظ المتلقّين لما يعتمل في أنسقتهم التصوّريّة بكيفيّة لا واعية، لكنّه، وربّما كان ذلك الأكثر أهميّة، ضروريّ وحاسم للسياسيّين أنفسهم، وبحسب قراءة لايكوف كانت هذه النقطة وراء فوز جورج بوش (G. Bush)، وخسارة نظيره جور (A. Gore)؛ لأنّ هذا الأخير لم يحمل ما يكفي من الوعي بأهميّة البعد الإدراكيّ والرمزيّ في العمل السياسيّ، في مقابل عناية بوش ومديري حملته بذلك[٢].

إذا ما دفعنا بهذا الرأي إلى أقصاه أمكن لنا القول إنّ التعامل مع هذا الضرب من التحليل للخطاب السياسيّ يستوجب شيئًا من التحرّز، لا من حيث ذاته، وإنّما من حيث إمكانيّة توظيفه للتلاعب بالعقول، وجلب المزيد من الحظوظ السياسيّة. وفي ذلك ما يجعل هذا الحقل مدعوًّا إلى تعهّد مساراته بالمراجعة وإعادة النظر والتمحيص، وإرساء الأسس المنهجيّة التي تُعزّز من وعيه بالمنزلقات التحيُّزيّة، وتُجنّبه الوقوع في الحيف.

من غير المستغرب أن يتنبّه لايكوف إلى ذلك، فقد عمد إلى بيان ما أسماه بالأسباب (غير الإيديولوجيّة) لاختياره السياسيّ الليبراليّ مستعينًا بما توصّلت إليه العلوم الأخرى لمساندة رأيه[٣]. والسعي إلى جلب التوكيدات

(١) ينظر: ليكوف، السياسة الأخلاقيّة، ص٥٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٥٣٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٤٥٩ وما بعدها.

العلميّة من حقول علميّة أخرى لدعم وجهات النظر المطروحة يوافق معيارًا منهجيًّا عامًّا ينهض عليه الحقل اللسانيّ الإدراكيّ وهو (تعهّد البرهان المتقاطع)، إذ يجد فيه هذا الحقل نوعًا من ممارسة التقويم والنقد الذاتيّ، وسبيلًا إلى تحصين النظريّة، ومعيارًا حاسمًا في قبولها[١]، ويتلخّص هذا المعيار في أنّه يلزم "النظريّة الكافية للتصوّرات أن تتعهّد بالبحث عن تقاطع الأدلّة والبراهين من عدّة مصادر قدر الإمكان"[٢]، فكلّما تعدّدت مصادر الحجج والبراهين التي تدرس مواضيع مختلفة وتتقاطع في نتائجها مع ما تقوم عليه النظريّة كان ذلك أدعى إلى قبولها وأمكن لها في العلميّة؛ لكونه يضمن لها الابتعاد عن الافتراضات التي تحدّد النتائج سلفًا بانصرافها إلى معطيات معيّنة للدراسة[٣]. وإن كان هذا مبدأ عامًّا يمسّ المستوى النظريّ للحقل اللسانيّ الإدراكيّ فإنّ لايكوف لا يتأخّر في استثماره في القضايا التطبيقيّة الجزئيّة التي يدرسها، ومما لابدّ من الإشارة إليه في هذا الصدد أنّ عناية لايكوف بتقاطع البراهين من مصادر متعدّدة لم يرافقها عناية موازية بإيضاح طبيعة تلك العلوم التي يعوّل على براهينها، وهو أمر يدعو إلى التوقّف، لا سيّما أنّه سخّر جانبًا من جهوده لبيان الأسس الواهية التي نهضت عليها بعض العلوم[٤].

---

(١) ينظر: جورج لايكوف، ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسّد وتحديه للفكر الغربيّ، ترجمة: عبدالمجيد جحفة، بنغازي-بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠١٦م، ص١٤٧، ٤٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١٣١، ١٤٦، ١٤٧.

(٤) ينظر على سبيل المثال نقده للتفكير الفلسفيّ الغربيّ في كتابه: الفلسفة في الجسد.

وعلى وجه الإجمال، فقد أنزلت المقاربة الإدراكيّة للتصوّرات الاستعاريّة عدّتها النظريّة وأدواتها الإجرائيّة وخبراتها بالذهن على ميدان الخطاب السياسيّ، غير أنّ هذا الأخير أيقظ النظريّة، أيضًا، على ما يُقصِّر بها عن بلوغ مراميها في فهمه، فدلّها، مثلًا، على ضرورة الالتفات إلى السياقات الاجتماعيّة الحاضنة له، ويمكن أن نلمح ذلك في تلك الدراسات التي تناولت الخطابات السياسيّة بالتحليل وأخذت تجادل في أنّ النظريّة التصوّريّة للاستعارة لا تكفي بمفردها إذا لم تُربط هذه التصوّرات بوجه من الوجوه بسياق تجلّيها اللغويّ، وهو ما يقتضي الاستعانة بمنجزات نظريّة أخرى قادرة على رفدها بأدوات تحليليّة تعينها على فهم التفاعل بين التصوّر المجرّد وسياقة التاريخيّ والسياسيّ الذي ظهرت فيه(١)، ولعلّ هذا الهاجس هو ما دفع لايكوف إبان مقاربته للخطاب السياسيّ في كتابه "السياسة الأخلاقيّة" أن يصف هذا العمل بكونه "خطوة باكرة في تطوير علم اجتماعيّ معرفيّ a cognitive social science يُتيح لنا أن نفهم حيواتنا الاجتماعيّة والسياسيّة بشكل أفضل"(٢).

وفي هذا الصدد، يمكن القول إنّ التفكير في الاستعارات السياسيّة قد أسفر عن التنبّه، أيضًا، إلى ما لها من دور إيديولوجيّ وإقناعيّ مركزيّ في بسط الهيمنة وإحداث تأثيرات اجتماعيّة في حياة البشر، وأنّ ذلك يتطلّب أدوات تحليليّة قادرة على ملاحقة هذه الأدوار التي تقوم بها الاستعارة

(١) ينظر: الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهوميّة، ص١٣٨، ١٣٩. وسيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) ليكوف، السياسة الأخلاقيّة، ص٥٩.

ونقدها. وتماشيًا مع ذلك، ستتوجّه العناية فيما يأتي إلى الحيّز النقديّ في دراسة استعارات الخطاب السياسيّ.

٣. النزعة النقديّة في دراسة استعارات الخطاب السياسي:

إنّ المطّلع على تحليل الخطاب السياسيّ في إطار نظريّة التصوّرات الاستعاريّة، لا سيّما لدى أعلامها المؤسّسين، يلفيها منغمسة في همّ الكشف عن علاقة الواقع بالاستعارات من حيث إنّ هذه الأخيرة لا تعدو كونها اختيارًا للنظر في الوقائع من زاوية معيّنة تفضي بالضرورة إلى تغييب زوايا أخرى، وهي إذ تفعل ذاك فإنّها تدّعي لنفسها صفة الحقيقة، وتوهم بأنّ الواقع ما التقطته عدستها فحسب، ومن ثمّ تكون إحدى وظائف التحليل الإدراكيّ لهذه الاستعارات نزع صفة الحقيقة عنها، وإسباغ النسبيّة عليها(١).

يترتّب على ذلك تنمية التفكير النقديّ لدى المتلقّين من حيث التنبّه إلى الطابع النسبيّ للاستعارة، وهو ما يفضي إلى جعل التلقّي الاستعاريّ قادرًا على التقويم النقديّ للإيديولوجيّات والتفكير في بدائل أخرى أكثر صلاحًا(٢)، ينطوي ذلك على نزعة نقديّة تضع في حسبانها العلاقة بين السلطة والواقع واللغة، الأمر الذي يعمّق صلات التحليل الإدراكيّ بالمنحى النقديّ في اللسانيّات، وقد وسم تشيلتون (P. Chilton) تحليل لايكوف لاستعارات

---

(١) ينظر على سبيل المثال: لايكوف، وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص١٦٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: ريني ديرفن، وفرانك بولزنهاجن، وهانز جورج وولف، اللسانيّات المعرفيّة: الإيديولوجيا والتحليل النقديّ للخطاب، ضمن كتاب: دراسات نقديّة في اللسانيّات المعرفيّة والتحليل النقديّ للخطاب: دراسات مترجمة، ترجمة: محمّد الملاخ، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٢٠م، ص١٨٠.

حرب الخليج بأنّه نقديّ[١]، وكذلك ذهب جيرارتس وسويكنس (D. Geeraerts and H. Cuyckens) إلى أنّ مقاربة لايكوف في كتابه "السياسة الأخلاقيّة" اتّخذت "مظهرًا نقديًّا يجعلها ذات صلة وطيدة بتقليد التحليل الإيديولوجيّ المعروف باسم التحليل النقديّ للخطاب"[٢]. فهذا الأخير إنّما يبحث في الروابط بين الاستعمال اللغويّ والسياقات الاجتماعيّة والسياسيّة التي تحدث فيها[٣].

وقد كتب بيتر ستوكويل (P. Stockwell) مقالة عنوانها "نحو لسانيّات إدراكيّة نقديّة"، بحث فيها ما إذا كانت اللسانيّات الإدراكيّة والتحليل النقديّ للخطاب يقتسمان أيّ أساس مشترك بينهما، ومدى إمكانيّة التوفيق بينهما، وانتهى، من جملة ما انتهى إليه، إلى أنّ التأليف بينهما بالكاد يكون ممكنًا في مجال محدّد، وهو النصّ السياسيّ الذي يوظّف الاستراتيجيّات الخطابيّة الاستعاريّة[٤]، وبيّن أنّ ثمّة اختلافات بينهما على المستوى النظريّ، غير أنّها تتضاءل على المستوى التطبيقيّ عند دراسة الموضوع نفسه، ومن الأمثلة التي برهن بها على ذلك تحليل فاركلوف (أحد مؤسّسي التحليل النقديّ للخطاب) ولايكوف (أحد مؤسّسي اللسانيّات الإدراكيّة) لتمثيل

---

(1) Paul Chilton, analysing political discourse: theory and practice, London and New York: Routledge, 2004, px.

(٢) ديرك جيرارتس، وهوبيرت سويكنس، مدخل إلى اللسانيّات المعرفيّة، ضمن كتاب: دراسات نقديّة في اللسانيّات المعرفيّة والتحليل النقديّ للخطاب: دراسات مترجمة، ترجمة: محمّد الملاخ، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٢٠م، ص٢٢.

(٣) ينظر: بالتريدج، تحليل الخطاب، ص٢٣٥.

(٤) ينظر: بيتر ستوكويل، نحو لسانيّات معرفيّة نقديّة؟، ضمن كتاب: دراسات نقديّة في اللسانيّات المعرفيّة والتحليل النقديّ للخطاب: دراسات مترجمة، ترجمة: محمّد الملاخ، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٢٠م، ص١٢٧، ١٥٢.

صدّام حسين في السياسة الغربيّة، وانتهى إلى أنّ الفارق بينهما محدود، سواء على مستوى التحليل أو هدف التحليل(١).

تماشيًا مع هذا التقاطع الملحوظ برز اتّجاه جديد على يد جوناثان تشارترس بلاك، وهو التحليل النقديّ للاستعارة (critical metaphor analysis). وتتمثّل المرجعيّة النظريّة المكوّنة له في التحليل النقديّ للخطاب، ونظريّة التصوّرات الاستعاريّة، ولسانيّات المتن(٢).

ينطلق تشارترس من منطلق إدراكيّ يرى أنّ الاستعارة بنية تصوّريّة قبل كونها منجزًا لغويًّا، وأنّها آليّة إدراكيّة وليست محض حليّة لغويّة(٣)، ويحاجج في نظريّته هذه "بأنّ تحليل الاستعارة ينبغي أن يكون عنصرًا مركزيًّا في التحليل النقديّ للخطاب؛ نظرًا لكون الاستعارة تؤدّي دورًا إقناعيًّا في الكشف عن تقييماتنا وأفكارنا، وهي بذلك جزء مكوّن للإيديولوجيا في النصوص"(٤). وتبعًا لذلك حدّد مقاربته بكونها منهجًا لتحليل الاستعارات بغية الكشف عن المقاصد والإيديولوجيّات الكامنة وراء استعمال اللغة، وتأتي أهميّته من كونه يزودنا بمنهجيّة لتحليل وتفسير الإيديولوجيا في الاستعارة، وأنّه يوضّح كيفية استعمال الخطاب لأغراض إضفاء الشرعيّة(٥).

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص١٤٠، ١٤١.

(٢) ينظر: محمّد تايشينت، الشعر والإيديولوجيا: مدخل إلى التحليل النقديّ للاستعارة، أيت ملول: منظّمة تاماينوت، ٢٠٢٠م، ص٣٦، ٣٧.

(٣) ينظر: محمّد الصالح البوعمرانيّ، تحليل الاستعارة النقديّ: قراءة في التصوّرات الاستعاريّة في "خطبة الهنديّ الأحمر" لمحمود درويش، ضمن كتاب: النصّ الشعريّ: قراءات تطبيقيّة، بيروت: مؤسّسة الانتشار العربيّ، ٢٠١٦م، ص١٨١.

(٤) المرجع السابق، ص٣٤.

(5) Chrteris-Black, politicians and rhetoric, p45, 49.

من هذا الجانب المتعلّق بكشف الإيديولوجيا تبرز أهميّة هذه المقاربة في دراسة استعارات الخطاب السياسيّ، وينبغي الإشارة إلى أنّ تشارترس يدعو إلى ضرورة استحضار سياقات استعمال الاستعارة في سبيل الكشف عن مقاصد المتكلّمين منها، ويقدّم نظريّته للاستعارة بكونها تجمع بين الإدراكيّة والتداوليّة[١]، ومن هنا كان تعريفه للاستعارة بأنّها: تمثيل لغويّ ناتج عن التحوّل في استعمال الكلمة أو العبارة من المجال الذي يُتوقّع ورودها فيه، إلى سياق أو مجال آخر لا يُتوقّع ورودها فيه، ممّا يتسبّب في توتّر دلاليّ تشترك في الإسهام به عوامل لغويّة وإدراكيّة وتداوليّة[٢]. ويأتي تطبيق هذه النظريّة على الخطابات عبر ثلاث مراحل منهجيّة، هي:

١.تحديد الاستعارة (Metaphor identification): تنهض هذه المرحلة على استقراء العيّنة، وتحديد الاستعارات المرشّحة وفقًا لمعيار التوتّر الدلاليّ في المستويات اللغويّة أو التداوليّة أو الإدراكيّة، وينتهي المحلّل فيها إلى (مفاتيح استعاريّة)، وهي التعبيرات الاستعاريّة التي يجدها الباحث متكرّرة في مجموعة من البيانات[٣].

٢.تأويل الاستعارة (Metaphor interpretation): يرتبط التأويل بإقامة علاقة بين الاستعارات والعوامل الإدراكيّة والتداوليّة التي تحدّدها، ويُعنى بالنظر في الدور الاستباقيّ للاختيارات الاستعاريّة المعيّنة في بناء تمثيل مهمّ من الناحية الاجتماعيّة، وينتقل المحلّل في هذه المرحلة من

(١) ينظر: تايشينت، الشعر والإيديولوجيا، ص٣٣.

(٢) ينظر: حسام عبدالقادر صالح، بلاغة الحرب في الخطاب الإعلاميّ: كوفيد-١٩ نموذجًا، مجلّة لباب للدراسات الاستراتيجيّة والإعلاميّة، السنة الثالثة، ع٩، فبراير٢٠٢١م، ص ١٣٤.

(٣) ينظر: تايشينت، الشعر والإيديولوجيا، ص٤٥. وسيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص٤٢٣.

المفاتيح الاستعاريّة إلى المفاتيح التصوّريّة، بالاستعانة بنظريّة التصوّرات الاستعاريّة(١).

٣.تفسير الاستعارة (Metaphor explanation): يُعنى بترابط الاستعارات وانسجامها بالتوافق مع الموقف الذي تجري فيه، ويكون ذلك بتحديد الفاعليّة الاجتماعيّة الكامنة في إنتاجها، ودورها في الإقناع. ولمّا كانت الاستعارة وفق هذا المنظور ذات وظيفة خطابيّة وإقناعيّة فإنّ التركيز على هذه الجوانب من شأنه أن يفضي إلى الوقوف على بواعثها الإيديولوجيّة والبلاغيّة. ويركّز تشارترس في هذا المستوى على (الأسطورة السياسيّة) المتحكّمة في الخطاب؛ لأنّه يرى أنّ الأسطورة تتعالق مع الإيديولوجيا من حيث تقاسمهما لغاية أساسيّة هي الإقناع(٢).

وقد طبّق هذه النظرّة في دراسته لعدد من الخطابات السياسيّة والدينية والتقارير الصحفيّة، وأتاحت له الوقوف على الوظائف الإيديولوجيّة والعاطفيّة والإقناعيّة للاستعارة في مجالات ثقافيّة ومجتمعيّة مختلفة(٣)، وهي وظائف ذات أهميّة في مجال بحث هذه الدراسة، واستكمالًا للجهود النظريّة التي تقدّم عرضها سيتوجّه القصد فيما يلي نحو استعراض بعض الدراسات التي حدّدت الخطاب السياسيّ مادّة لدراستها الأنساق التصوّريّة الاستعاريّة.

---

(١) ينظر: تايشينت، الشعر والإيديولوجيا، ص٤٥.

(2) ينظر: تايشينت، الشعر والإيديولوجيا، ص٤٥، ٤٦ .Chrteris-Black, politicians and rhetoric, p48

(٣) ينظر: سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص٤٣٧.

٤. دراسات التصوّرات الاستعاريّة في الخطابات السياسيّة: مؤلّفات لايكوف نموذجاً:

تركّزت العناية فيما تقدّم على الجوانب النظريّة في مقاربة الخطاب السياسيّ مقاربة إدراكيّة عبر نظريّة التصوّرات الاستعاريّة، وسيكون مدار النظر فيما يأتي على الدراسات التطبيقيّة التي أنجزها أرباب النظريّة، ممثّلة بثلاثة مؤلّفات للايكوف في هذا المجال، سعيًا إلى الوقوف على آليّات العمل التي اتّبعها، وطريقة تنضيده للنظريّة بما يجعلها قادرة على سبر الخطابات السياسيّة.

وهذه المؤلّفات هي: كتاب (حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل)، وكتاب (السياسة الأخلاقيّة: كيف يفكّر الليبراليّون والمحافظون؟)، وأخيرًا كتاب (لا تُفَكِّر في فيل: الخطاب السياسيّ بين المحافظين والتقدميّين). ويرجع اختيار هذه المؤلفات للعرض والدراسة سببين على الأقلّ، تتمثّل في:

١. أنّ المؤلّف من المنظرين المؤسّسين لنظرية التصوّرات الاستعاريّة، ودراساته التطبيقية تمثّل دليلًا يفيد منه الباحثون في مجاله.

٢. أنّ هذه المؤلّفات تدرس الخطابات السياسيّة بالتعويل على نظريّة التصوّرات الاستعاريّة.

١.٤ كتاب حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل:

يتألّف الكتاب من ثلاث مقالات مترجمة، كُتبت في فترات مختلفة، وهي متقاطعة في مجالات عنايتها، ومتفاوتة في أحجامها، وهذه المقالات هي: الاستعارة والحرب، واستعارات الرعب، والاستعارة والحرب من جديد.

١.١.٤ المقالة الأولى: الاستعارة والحرب:

المقالة مترجمة عن نسخة طبعت في عام ١٩٩١م، وموضوعها الوقوف على دور التفكير الاستعاريّ في تبرير غزو العراق في عهد بوش الأب والحمل عليه(١). تتميّز هذه المقالة، فيما بدا لي، بثلاثة أمور على الأقلّ، تتمثّل في أنّها:

- تستخلص الأنساق الاستعاريّة التي تتحرّك الحرب وفق مداراتها.

- لا تقتصر على ملامسة الاستعارات، بل تمسك بها، وتقلّبها باستعراض مقتضياتها واستلزاماتها، لتخلص إلى فهم أدق للاستعارة بوصفها نسقًا، أي علاقات تشتبك ببعضها، وليس محض اطّراد.

- تقدّم تحليلًا نقديًّا للاستعارات يتمثّل في تسليط الضوء على استعاريّتها، وعلاقتها بالوقائع، والجوانب التي تحصر النظر فيها، والأخرى التي تخفيها.

أمّا ما يخصُّ موضوعات التحليل، فقد قسّم لايكوف عمله هذا إلى قسمين: يتعلّق الأوّل بالنسقين الاستعاريّين المركزيّين المستعملين في التفكير الاستعاري في أزمة الخليج، والثاني متخصّص في تطبيق هذه الاستعارات على الأزمة(٢)، وفي هذا الأخير جلّ العمل النقديّ.

أمّا النسقان المقصودان فهما: النسق المستعمل لدى العامّة، والنسق المستعمل لدى الخبراء السياسيّين. يتمثّل الأول في استعارة (الدولة شخص)، وقد فصّل المؤلّف فيه القول، وبيّن مقتضياته المتمثّلة في أنّ الدولة شخص يتجسّد في الرقعة الإقليميّة المعيّنة، وأنّ لهذا الشخص جيرانًا

---

(١) ينظر: لايكوف، حرب الخليج، ص١٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٢٢.

وأصدقاء وأعداء، مثلما أنّ له ميولًا ومواقف، قد تكون سلميّة أو عدائيّة، ويكمن نضج هذا الشخص أو بلوغه في قوّته التصنيعيّة، وتأسيسًا على هذا المعيار بات لدينا دول نامية وأخرى غير نامية (لم تبلغ).

بُرّرت من خلال هذه الاستعارة حرب العراق، وكان ذلك بتأطير الحدث وفق الحكاية الخرافية الماثلة في ثلاثيّة الشرير والضحيّة والبطل، فاختُزلت العراق في شخص صدّام، ومن صفات هذا الأخير أنّه شرّير وعدوانيّ وغير عاقل، والكويت هي الضحيّة، أمّا البطل فهو أمريكا التي تتدخّل لأجل مهمّة الإنقاذ، وهذه هي الاستعارة التي تقبّلها الجمهور الأمريكيّ عن هذه الحرب، وكانت تسويغًا مُقنعًا، ومُشرِّفًا أيضًا بالنسبة إليهم(١).

أمّا نسق الخبراء السياسيّين الاستعاريّ فيتمثّل في أنّ (السياسة صفقة تجاريّة)، والحرب في خدمتها، ومن ثمّ فهي تُسوّغ بقدرتها على توسيع الأرباح وتقليص الخسائر، وهذه الاستعارة تبرّر الحرب على أسس نفعيّة فقط وتلغي الأسس الأخلاقيّة.

والأمر الأكثر أهميّة من ذلك أنّ هذه الاستعارة يُنظر إليها عادة على أنّها حقيقة حرفيّة(٢)، ومن الوسائل التي عمد إليها لايكوف في إحراج هذه الاستعارة:

- الإلحاح على بيان استعاريّتها بالتصريح بذلك أوّلًا، وبعرض ما تتحاشاه أو تخفيه ثانيًا.
- نقد تغييبها للبعد الأخلاقيّ، إذ تتحوّل في هذه الاستعارة الأرواح إلى أرباح وخسائر، ولا تكون هذه الأرباح إلا من رصيد الطرف الآخر، أي خسارته.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٢٢-٢٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٢٦، ٣٠.

- تمحيص صدقيّتها في عرضها على الوقائع، أي تطبيق هذه الاستعارة واستلزاماتها على الأزمة.

وهذه الأمور الثلاثة، على اختلافها، طوّافة حول مسألة مركزيّة، هي: ما تظهره الاستعارة وما تخفيه. وذلك ما ناقشه لايكوف على نحو أكثر تفصيلًا في القسم الثاني من المقالة الذي خصّصه لتطبيق الاستعارات على الأزمة، وبيّن فيه أنّ سلب العقل عن صدّام غير دقيق، فقد كان الرجل يعمل ويخطّط لمصلحته، وأمريكا لم تكن بطلًا متجرّدًا من مصالحه الشخصيّة في عمليّة الإنقاذ تلك، والمقتول الذي عانى من نكبات الحرب ليس شرّيرًا، بل طال الأمر أبرياء ومدنيّين(١).

وأوضح لايكوف أيضًا أنّ استعارة (الدولة شخص) تخفي البنية الداخليّة للدولة والتنويعات التي تنطوي عليها، مثلما أنّ استعارة (الحرب صفقة) بتركيزها على كمّ الأرباح والخسائر تُغيّب الحقيقة النوعيّة للحرب من قتل وتدمير وسفك دماء الأبرياء(٢).

وعلاوة على ذلك، تخفي استعارات الأزمة أشدّ التصوّرات المركزيّة التي تقود السياسة العربيّة، وهي: الأخوّة القوميّة أو الإسلاميّة، مثلما تخفي أهمّ انشغال يوميّ لديهم، وهو: الكرامة العربيّة، الذي عُدّ صدام بموجبه بطلًا لدى معظمهم(٣).

وختم لايكوف مقالته بالهواجس التي تشغله في تقاطع الاستعاريّ بالسياسيّ، مبيّنًا أنّ الإشكاليّة ليست في كوننا نفكّر بطريقة استعاريّة وإنّما

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٣٣، ٤٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٣٩، ٤٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٣٧، ٣٨، ٣٩.

في تجاهل ذلك، لاسيّما في الميدان السياسيّ، وهذا التجاهل سيفضي إلى التسليم بها شيئًا فشيئًا والغفلة عمّا تخفيه، ومن ثمّ الإخفاق في التفكير بصورة خلّاقة في استعارات جديدة قد تكون أرحم[١]، فالإشكاليّة، فيما يرى، ليست في الاستعارة، وإنّما في كونها "إن هي عزّزتها القنابل قد تقتل"[٢].

٢.١.٤ المقالة الثانية: استعارات الرعب:

جاءت المقالة في سياق أحداث الحادي عشر من سبتمبر في ٢٠٠١م، على إثر نسف البرجين التجاريّين العالميّين في نيويورك[٣]، تدور هذه المقالة على ثلاثة موضوعات رئيسة، هي: الأحداث في أذهان الأمريكيّين، وتأطير الإدارة للحدث، ونقد ذلك التأطير.

يلحّ لايكوف على كون أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم تُصِب البرجين وإنّما أصابت سائر الأمريكيّين، وركّز على سلطة الصور في هذا الشأن، واستعان بالمنظور العصبيّ لتفسير ذلك التماهي من خلال الإشارة إلى الدارات العصبيّة المسؤولة عن التقمّص العاطفيّ، فيما يُعتقد على الأقلّ، مؤكّدًا على أنّ البرجين يمثّلان رمزًا للقوّة، والتحكّم، والسيطرة، وأمريكا. وبسقوطهما نشطت استعارات لا واعية كامنة في الدماغ، ومنها: (البنايات رؤوس)، (ونوافذها عيون)، (والبنايات هيكل)، (والتحكّم فوق). وبسقوط البرجين تصوّر الأمريكيّون استعاريًّا أنّ الطائرة رصاصة اخترقت رأس أحدهم، والنار والدخان دماء مسفوكة، أو أنّ الطائرة قضيب يغتصب البرجين المؤنّثين، وبسقوطهما اهتزّت صورة الصمود والقوّة الأمريكيّة،

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤٥.

(٣) ينظر: تقديم عبد المجيد جحفة على: لايكوف، حرب الخليج، ص١٥.

وشعر كلّ شخص في أمريكا عبر الدارات العصبيّة الموجودة في دماغه أنّ الرصاصة/الطائرة اخترقت دماغه(١).

انصرف، بعد ذلك، إلى مناقشة تأطير الإدارة الأمريكيّة للحدث، مع ربط هذا التأطير بالتصوّرات الكبرى المسيِّرة للحزب المحافظ الأمريكيّ المتولّي الحكم في تلك الفترة، واستعرض استعاراتهم التي بدت مرتبكة أوّل الأمر، بدءًا من استعارة (الجريمة) التي تقتضي وجود مذنبين وجناة ومحاكم دولية، ثمّ استعارة (الحرب) التي لم تكن منطبقة كلّ الانطباق على الحدث؛ نظرًا لعدم وجود خصم واضح الملامح، وظهر حينئذ جنوح الإدارة إلى وصف الإرهابيّين بالجبناء، ونعت أماكنهم بالمستنقعات والجحور، وهو ما ينتمي في نهاية المطاف إلى استعارة (الأخلاق الجيّدة فوق، والأخلاق السيئة تحت). وخُلاصة الأمر أنّ أولئك الإرهابيّين شرّ رأت الإدارة الأمريكيّة أنّ التصدّي له يتطلّب قوّة كبرى، وإن اقتضى الأمر وقوع أضرار فإنّها أضرار مبرّرة بنصرة الخير. وبرزت إذ ذاك استعارة (الأمن احتواء) التي وجّهت الأنظار، بدورها، إلى ضرورة التحصين الداخليّ لأمريكا ومتابعة مطاراتها ومنافذها؛ لإبقاء الشرّ خارجًا(٢).

تتجلّى بذلك الرؤية المحافظة الأمريكيّة التي تنزع إلى الانتقام، بحسب لايكوف، بخلاف الرؤية الليبراليّة الداعية إلى تحرّي العدالة واستشعار المسؤوليّة بعدم إلحاق الضرر بالأبرياء، وهي رؤية يتبنّاها المؤلّف وينتمي إليها، ودعا في إطارها إلى مواجهة سائر الأسباب الدافعة إلى الإرهاب، وقد حصرها بالأسباب الدينيّة، والأسباب الاجتماعيّة/ السياسيّة، وأسباب متعلّقة

(١) ينظر: لايكوف، حرب الخليج، ص٤٩، ٥٠، ٥١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٥٢، ٥٣.

بالوسائل المتاحة لتنفيذ الإرهاب. وبيّن أنّ إدارة بوش (المحافظة) لم تُعْنَ إلا بالسبب الثالث[١]، وما ذلك إلا استجابة لاستعارة (الأب الصارم) التي ستستأثر بأبحاث لايكوف في وقت لاحق، وسنأتي على جانب منها في موضعها من هذا البحث.

٣.١.٤ المقالة الثالثة: الاستعارة والحرب من جديد:

موضوع المقالة تبرير بوش الابن للحرب الثانية على العراق للإطاحة بصدّام، وقد عادت معها استعارة (الدولة شخص)، فنُظر إلى العراق على أنّها صدّام، وتحت ستائر هذه الاستعارة يغيب الشعب العراقيّ بكل ما لحقه من دمار وويلات، أمّا تبرير الحرب فجاء بالمطابقة بين صدّام والقاعدة ومن ثمّ فإنّ الحرب ضرورة تستدعيها ضرورة الدفاع عن النفس[٢]، ويحذّر لايكوف من هيمنة هذا التأطير للحدث في وسائل الإعلام، مهيبًا بأنّه سيفضي إلى حرب ثانية في الخليج، وهو ما حدث بالفعل، وكانت الأهداف الفعلية وراءه هي السيطرة على تدفّق النفط، أي المصلحة الشخصيّة لأمريكا وليس البطولة الأخلاقيّة[٣].

٢.٤ كتاب: السياسة الأخلاقيّة: كيف يفكّر الليبراليّون والمحافظون:

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب في عام ١٩٩٦م، وتلتها الثانية في ٢٠٠٢م، والثالثة في ٢٠١٦م، ولا يفتأ المؤلّف في تقديمه على الطبعتين المتأخرتين لكتابه عن التذكير بتجدّد الحاجة إليه، وانطباقه على عقود تالية

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٥٤، ٥٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٦٧، ٧٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٧٢، ٧٣.

لإصداره، وأنّ أهميّته باتت آخذة في التصاعد مع الانقسام الأمريكي (الليبرالي/ المحافظ)[١].

الكتاب ضخم نسبيًّا، يربو على ٦٠٠ صفحة، وله منزلة مخصوصة في أعمال لايكوف المتعلّقة بدراسة الخطاب السياسيّ، ولا أدلّ على ذلك من اعتداده بقيمة الكتاب التنظيميّة والعلميّة، وإحالته عليه بهذه الصفة في دراسات تالية عليه[٢].

ومحلّ العناية ههنا استعراض طريقة قراءته للسياسة الأمريكيّة، ورؤيته للوجه الملائم لدراستها بوصفه منظّرًا لسانيًّا إدراكيًّا، ثم النظر في دور نظريّة التصوّرات الاستعاريّة في فهم المناخ السياسيّ العامّ، وإسهامها في تغييره وتوجيه مناحيه.

بدأ لايكوف بأسئلة تبدو مُلغِزة؛ لكونها تسلّط الضوء على ما يظهر من تعارض داخليّ في مبادئ كلّ فريق (المحافظ، والليبراليّ)، من ذلك، مثلًا، جمع المحافظين بين تأييد عقوبة الإعدام ورفض الإجهاض، واتّجاه الليبراليّين نحو دعم الأطفال ومساعدتهم، في الوقت الذي يدافعون فيه عن حقّ الإجهاض[٣].

هذا التعارض لا تدركه إلا عدسة المخالف، فكلّ فريق لديه عدسته التي تجعل مبادئه في نظره منسجمة ومتّسقة، لكنّها ليست كذلك في عدسة الآخر، إنّ هذه العدسة هي ما يسمّيها لايكوف (رؤية العالم)، وفحوى كتاب

(١) ينظر: ليكوف، السياسة الأخلاقيّة، ص٢١.

(٢) أوصى المؤلف بكتاب السياسة الأخلاقية، من هذا الجانب، في كتاب آخر لاحق عليه ومتصل به، وهو: لا تفكر في فيل، ص٢٤.

(٣) ينظر: ليكوف، السياسة الأخلاقيّة، ص٧١-٧٣.

"السياسة الأخلاقيّة" يقوم على بيان أنّ الانقسام السياسيّ الأمريكيّ (من المحافظين والليبراليّين) متأسّس على التباين في رؤية العالم أي تصوّر العالم، والوجه المناسب لدراسته هو العلم الإدراكيّ لا سيّما اللسانيّ منه(١).

لإيضاح ذلك يبيّن لايكوف أنّ العلم الإدراكيّ توصّل إلى أنّ معظم أساليب فهم العالم العميقة لا واعية، ولقاء ذلك طوّر أدوات لدراسة هذا اللاوعي بالإفادة من علوم متعدّدة تتقاطع معه في العناية بدراسة الذهن، ويمكن له بذلك أن يبلور فهمًا أفضل لرؤى العالم وأشكال الخطاب المطروح؛ لأنّه "مجال يدرس كيف يُمَفْهِم الناس العالم"(٢)، والحقل الفرعي الأكثر عناية بقضايا رؤية العالم والتصوّرات اليوميّة هو اللسانيّات الإدراكيّة، التي تعنى بالتفكير اليوميّ واللغة اليوميّة، وكيفيّة فهمنا لحياتنا اليوميّة وتفكيرنا فيها، وكلامنا عنها(٣).

وعلاوة على إفادة لايكوف من المنجز الإدراكيّ في فهم اللاوعي فإنّه يضع شروطًا لكفاءة وصف رؤية العالم في حدود دراسته، وهذه الشروط هي(٤):

– أن تضع رؤى العالم مجموع المواقف السياسيّة الخاصّة بكل فريق في فئة طبيعيّة تفسّر التوافق بين المواقف التي يتبنّاها الليبراليون، والتوافق بين المواقف التي يتبنّاها المحافظون.

– أن تبيّن لنا كيف أنّ ما يمثّل أمورًا ملغزة لدى الليبراليّين لا يكون كذلك عند المحافظين، والعكس.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٤١.

(٢) المرجع السابق، ص٤١.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٥–٢٨، ٤١.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٧٤، ٧٥.

– أن تُفسّر اختيار الموضوعات والكلمات وأشكال الخطاب الخاصّة بكل فريق، ولماذا تأخذ معاني الكلمات ذاتها معنى مختلفًا عندما يستعملها الليبراليّون عن استعمال المحافظين لها في بعض الأحيان؟

وينبغي أن يكون النموذج الذي يفسّر المواقف السياسية لدى الفريقين محقّقًا لهذه الشروط(١)، وانتهى لايكوف إلى أنّ النموذجين اللذين يحقّقان شروط الكفاءة في حدود دراسته هما نموذجا الأب الصارم، والوالديّة الراعية، وهما نموذجان متعارضان في تصوّرهما للأسرة.

يقوم نموذج (الأب الصارم) على ركائز أساسيّة تتمثّل في سلطة الأب، والصرامة في وضع قواعد المنزل، وتعويد الأبناء على الانضباط الذاتيّ عبر العقاب والثواب، فيما تتولّى الأمّ أعمال المنزل والتربية وتدعيم سلطة الأبّ. أمّا نموذج (الوالديّة الراعية) فيشترك فيه الوالدان (الأمّ والأب) لدعم الأبناء وحمايتهم ورعايتهم، وتنشئتهم على رعاية الآخرين، وتأتي طاعة الأطفال لوالديهم من الحبّ والاحترام لا لأجل الخوف من العقاب(٢).

وكلّ نموذج منهما يحفّز مجموعة من الأولويّات الأخلاقيّة، ولذا خصّص المؤلّف حيّزًا كبيرًا للأنساق التصوّريّة الأخلاقيّة، والمجازات المتعلّقة بنموذجي الأسرة المذكورين، فمن شأن هذا التحليل للأنساق الأخلاقيّة أن يقرّب إلى الأفهام مبرّرات وجود البرامج السياسيّة لدى الليبراليّين والمحافظين، والمعنى الجوهريّ لوجودها(٣)، ومن شأنه أيضًا أن يضع الليبراليّين على فهم أكثر دقّة لخصمهم المحافظ، إذ يُقِرّ لايكوف بوجود

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٨٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٨٠، ٨١.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢١٧.

إخفاقات تحليليّة لدى الليبراليّين في فهمهم للمحافظين، ومن هذه الإخفاقات النظر إلى النزعة المحافظة بوصفها أنانيّة، ومؤامرة يقوم بها الأثرياء للحظوة بالمزيد من الثراء، وأنّ المحافظين يؤمنون بالحكومة الأقل عددًا[١].

إضافة إلى ذلك تأتي أهميّة التركيز على الأساس الأخلاقيّ للأحزاب السياسيّة من كون الناخبين الذين يشكّلون السلطة في نهاية المطاف يصوّتون لما يؤمنون به أكثر مما يصبّ في مصلحتهم. والإيمانُ مرتبطٌ بالأساس الأخلاقيّ لما يرونه صائبًا وجيّدًا[٢].

وينتقل هذا النسق الأخلاقيّ من الأسرة إلى السياسة بواسطة مجاز (الأمّة أسرة)، وهو من أكثر الطرق شيوعًا لفهم الأمّة[٣]، ولا شكّ أنّ الأمّة ليست مطابقة للأسرة تمامًا، لكنّ رباطهما الاستعاريّ قارٌّ في اللاوعي، ويمثّل لدى كثيرين حسًّا مشتركًا، وله تجلّيات لغويّة منبثّة في الخطابات، من مثل قولهم: إنّ الدولة ترسل أبناءها وبناتها لطلب العلم، أو القتال، وإنّ الرئيس أب[٤].

لا يحدّد هذا المجاز نوع الأسرة الذي تكونه الأمّة، وهذا هو الموضع الذي يتدخّل فيه نموذجا الأسرة (الأب الصارم، والوالديّة الراعية) ليوفّرا هذه المعلومات، فتصوّر الأمة عند المحافظين ممفهم ضمنيًّا وبشكل غير واع بما هو أسرة الأب الصارم، وهو عند الليبراليّين أسرة الوالديّة الراعية[٥].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٢٧١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٥٣٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٥٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٢٣٠.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص٢٣٢.

وقد كان القادة المحافظون واعين، نسبيًّا، بارتباط قناعاتهم السياسيّة بتصوّرهم للأسرة والأخلاق، وانعكس ذلك على خطاباتهم، بينما كان الليبراليّون أقلّ وعيًا بالرؤية الضمنيّة للأسرة والأخلاق التي تنظّم معتقداتهم السياسيّة، وكان لهذا القصور، بحسب وصف لايكوف، تأثيرًا مدمّرًا للقضيّة الليبراليّة(١).

ومن هنا هدف لايكوف في دراسته إلى محاولة رفع وعي الجماهير بهذه العلاقة بين السياسة والأسرة والأخلاق، وذلك من خلال دراسة الذهن، والتبصّر في الأنساق التصوّريّة التي لا نملك منفذًا مباشرًا إليها في الوعي، وتعدّ التصوّرات الاستعاريّة جزءًا من تلك العمليّات التي نفكّر بها، وتفضي دراسة تجلّياتها إلى الكشف عن الطريقة التي نفكّر ونحيا بها(٢).

استعرض المؤلف، بالاستعانة بنظريّة التصوّرات الاستعاريّة، مجموعةً من الاستعارات الأخلاقيّة التي يقدّم فيها كلّ نموذج من هذين النموذجين أولويّاتهما بشكل مختلف عن الآخر(٣)، على الرغم من "أنّ كُلًّا من أخلاقيّة الأب الصارم والوالديّة الراعية تستخدم الاستعارات ذاتها، إلا أنّ لهذه الاستعارات أولويّات مُتعارضة داخل هذين النسقين"(٤)، فعلى سبيل المثال لدى كلّ منهما استعارة (الأخلاقيّة صلابة)، لكنّها تحتلّ الأولويّة في نموذج الأب الصارم، وتعدّ آخر الأولويّات في نموذج الوالديّة الراعية، وهذا الأخير يضع الرعاية والتقمّص التعاطفي أولويّة له، ويجعل الصلابة الأخلاقيّة

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٧٩، ٨٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٨٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١١٦

(٤) المرجع السابق، ص١٦٦.

داعمة لها، بخلاف نموذج الأب الصارم الذي تكون الرعاية فيه داعمة للصلابة. وعلى هذا النحو يظهر في تحليل لايكوف أنّ ثمّة استعارات خادمة وطوّافة حول استعارات أخرى لتكسبها متانتها وفاعليّتها، وأنّ هذا ما يصنع الفرق بين نموذجين لمفهوم واحد (الأسرة) [١].

وإلى هنا يمكن أن نتساءل عن أهميّة هذه الاستعارات في فهم المناخ السياسيّ بين المحافظين والليبراليّين، ودورها في توجيهه، وتكمن الإجابة في أنّ الجدل بين المحافظين والليبراليّين يتوقّف على هذا الرهان أساسًا، فما من جدوى في مناقشة القضايا التي يختلفان فيها قضية بقضية؛ لأنّ مدار الأمر في ذلك التعارض السياسيّ هو الأخلاقيّة، أي حول ما تعتقد الجماعة أنّه خيّر وصائب وينبغي فعله، ومن ثمّ التصويت لصالحه[٢].

يطرح لايكوف، لإيضاح ذلك، مجموعة من القضايا كالقروض المخصّصة لإعانة الطلاب، والإجهاض، ويستعرض وجهة النظر المحافظة والليبرالية إلى القضيّة المعيّنة بإنزالها ضمن النسق الأخلاقيّ الذي يؤمن به كلّ فريق منهما، ويبيّن أن المسألة ليست مجرّد اختلاف في هذه القضيّة الظاهرة، ولكنّه اختلاف في تصوّر العالم أساسًا، وما هو أخلاقيّ فيه وما ليس كذلك، يقول: "إنّ ما لدينا هو اختلافات رئيسيّة في رؤية العالم الأخلاقيّة. وهي ليست مجرّد اختلافات في الرأي حول الإدارة العامّة الفعّالة...ولا يمكن أن تتمّ تسويتها بحِجاج عقلانيّ حول الإدارة الفعّالة. بل إنّها آراء أخلاقيّة حول ما يُشكّل البشر الأخيار ويشكّل أمّة خيّرة"[٣].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص١٦٥، ١٦٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٣١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٦٨.

يتساءل لايكوف من خلال دراسته لاستعارة الأخلاقيّة الأمريكيّة (بشقّيها: أخلاقيّة الأب الصارم، وأخلاقيّة الوالديّة الراعية) عن العلاقة بين النسق الاستعاريّ الأخلاقيّ وأساسه فيما إذا كانت علاقة صراع أو تناغم. موضّحًا أنّ استعارات الأخلاقيّة ناشئة أساسًا من فهمنا لخبرة الرفاه والازدهار الإنسانيّ والمساعدة لا الأذى[١].

في سبيل الإجابة عن ذلك انتهى لايكوف إلى أنّ النسق الأخلاقيّ للوالديّة الراعية يتضمّن ما يجعله مندغمًا في الأخلاقيّة الخبروية المتعلقة بازدهار البشر، والمساعدة، والصحة، والصلابة، والرعاية الكليّة المتماسكة، وذلك باستناد أخلاقيّة الرعاية على أولويّة التقمّص التعاطفيّ (الرعاية)، فيما تبدو أخلاقيّة الأب الصارم بعيدة عن ذلك لأنّ أولويّتها تتمثّل في الصلابة الأخلاقيّة، أمّا التقمّص التعاطفي فهو من أقلّ أولويّاتها، إضافة إلى أنّها تُطلق ثنائيّة الخير والشر، ونحن مقابل هم، وتقسّم المجتمعات في الاستحقاق على أسس ذاتيّة، وهي بهذا المقتضى ولّادة لثقافة شقاقيّة قائمة على الإقصاء واللوم، ولا تسهم في خلق مجتمع متماسك، أو متقدّم، إنّ أخلاقيّة الأب الصارم منبتّة الصلة، حسب ما يقول لايكوف، بالإنسانيّة العامّة، أي بالشيء الذي ينبغي أن يكون أساسيًّا بالنسبة لأيّ نسق أخلاقيّ[٢].

إنّ تجريد لايكوف أخلاقيّة الأب الصارم ممّا هو أكثر أساسيّة في الأخلاق، وتقديمه إياها بصورة تكاد تكون مضادّة للأخلاق، قد يكون واقعيًّا، لكنّه، في الوقت نفسه، يثير بعض التساؤلات عن مدى حياديّة اختيار

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٥١٢-٥١٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٥١٢-٥١٦.

لايكوف للاستعارات الأخلاقيّة لتكون السند للتصوّرات السياسيّة، ما دام أنّها ستكون لصالح الفريق الذي يتحزّب إليه (الليبراليّة) ويصرّح بالتزامه به[١]، وبعبارة أخرى، يمكن لنا أن نتساءل ما إذا كانت الاستعارات السياسيّة محلّ دراسته تقوم على استعارات النسق الأخلاقيّ أساسًا؟

يفضي هذا التساؤل إلى التفكير في إمكانيّة الحياد في البحث السياسيّ إجمالًا، وسبل الحماية من الوقوع في الأدلجة، وللإجابة عن ذلك صدّر لايكوف كتابه بإعلان عنايته بتقديم تحليل إدراكيّ يرجو فيه بلوغ الحياد تجاه المسائل التي يطرحها[٢]، وانتهى ببيان الأسباب غير الإيديولوجيّة لكونه ليبراليًّا مدعومة بأسباب خارجيّة مستقلّة عن ليبراليّته، وهي متعلّقة بالأسس السليمة لتربية الطفل، والمعرفة بالعقل الإنساني، خلص فيها إلى أنّ "أخلاقيّة الأب الصارم مُنبتّة الصلة بوقائع تربية الأطفال، كما أنّها منبتّة الصلة بطبيعة العقل الإنسانيّ، ومنبتة الصلة بالإنسانيّة العامّة، أي بالشيء الذي ينبغي أن يكون أكثر أساسيّة لأيّ نسق أخلاقيّ"[٣]، وهو بذلك لا يلجأ إلى المفهوم الأخلاقي بوصفه منجزًا ليبراليًّا بدءًا، ولكنّه يحرّر هذا المفهوم بمعناه المتصل بخبرة الرفاهيّة والازدهار الإنسانيّ من احتكار المحافظين له، ويناضل لاستعادته إلى مجاله على يد الليبراليّين، يقول: "لقد احتكر المحافظون المصطلح "أخلاقيّ" لأنفسهم، وقد تركهم الليبراليّون يحتفظون به، وقد حان الوقت أن يستردّوه"[٤].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٤٥٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص٥١٥.

(٤) المرجع السابق، ص٥٥٨.

أمّا فيما يتعلّق بمنهجيّة الإمساك بالاستعارات، في هذا العمل وغيره مما ذُكر في هذا البحث، فلا تبدو نتيجة عمل إحصائيّ لمدوّنة معيّنة، وإنما نتيجة ملاحظة، وتتجلّى آليّة دراسته للاستعارات في نصّه الآتي: "وقد تمّ رصد الاستعارات بشكل منفصل من خلال معاينة نوعين من الأدلّة: (١) كيف يتم استخدام لغة مجال غير أخلاقيّ (على سبيل المثال، المجال الماليّ) للحديث عن المجال الأخلاقيّ. و(٢) كيف أنّ أشكال التفكير المستخدمة في المجالات غير الأخلاقيّة (على سبيل المثال، الصحّة، الصلابة) يتمّ استخدامها في المجال الأخلاقيّ"[١].

وعلى وجه الإجمال ركّز جلّ عمله للكشف عما تبحث عنه الجماهير في الانتخابات التي تشارك فيها، وعمل على إرسائه في الفضاء الليبراليّ، ونفيه عن المحافظين، وتظهر في الكتاب نزعة حجاجيّة نحو الإقناع بوجاهة الاتجاه الليبراليّ، وذلك ما سيأخذ بعدًا أكثر وضوحًا في كتابه اللاحق "لا تفكّر في فيل".

٣.٤ لا تفكر في فيل: الخطاب السياسيّ بين المحافظين والتقدّميّين:

إنّ هذا الكتاب "كُتب ونُشر من أجل انتخابات ٢٠٠٤م"[٢]، أي على أعقاب الخسارة الليبرالية التي حدثت في عام ٢٠٠٠م، وغايته تدريب الناشطين في المجال السياسيّ على التأثير في الجمهور للتصويت لليبراليّين في الانتخابات القادمة، ولذا روعي فيه التبسيط والقصر[٣].

(١) المرجع السابق، ص١١٦.

(٢) لايكوف، لا تفكر في فيل، ص٢٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٤.

يهتدي لايكوف في هذا الكتاب بالخلاصات التي انتهى إليها كتابه السالف "السياسة الأخلاقيّة"؛ إذ يستحضر فيه ما انتهى إليه من تشخيص الخلاف الدائر بين المحافظين والليبراليّين عبر استعارة (الأمّة أسرة) بنموذجيها، ويتقدّم في هذا الكتاب خطوة إضافيّة تتمثّل في الوقوف على ما ينبغي على الليبراليّين عمله إزاء هذا الخلاف للظفر بالأصوات الانتخابيّة، والأساس الذي يراهن عليه لايكوف في تحقيق ذلك يتمثّل في العلم الإدراكيّ الذي يوفّر الوسائل التي يمكن من خلالها الكشف عن طرق تفكير المحافظين، والتوصّل إلى الطريقة المثلى التي ينبغي أن يفكّر بها الليبراليّون لمواجهة المدّ المحافظ، والفوز بأصوات الناخبين.

وسخّر الكتاب للدفاع عن الدور المركزيّ للتأطير (framing) في التأثير على الجماهير؛ لأنّه وسيلة لربط القضايا السياسيّة بالقيم التي يؤمن بها الحزب، فهو موطن قوّة المحافظين ومصدر نجاحهم، وهو، أيضًا، ما يعوز الليبراليّين وبسببه قصروا عن بلوغ مراميهم[1]، والمرمى، بلا شك، هو أصوات الجمهور.

يجد المتأمّل في هذا الكتاب أن لايكوف أداره على ثلاثة أركان، هي:

– الوقوف على منجز المحافظين في التأطير، وتدبّر مسالكهم فيه، وتفحّص نماذج من خطاباتهم.

– الاعتراف بالعجز التأطيريّ في جانب الليبراليّين، وتقديم التدابير اللازمة لتلافيه.

(١) ينظر: المرجع السابق، تمتدّ هذه الفكرة في معظم الكتاب، ينظر على سبيل المثال: ص٢٣، ٥١، ٥٢، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٤٧، ١٤٨، ١٤٩.

– التعريف بالجمهور المستهدف للتصويت، والتنبيه إلى كيفيّة استثارة نماذج الوالديّة الراعية فيهم لكسب تصويتهم.

يجلّي لايكوف أوّلًا المقصود بالأطر (frames)، فيبيّن أنّها "عبارة عن بنى تشكّل الكيفيّة التي نرى بها العالم، ونتيجة لهذا فإنّها تشكّل الأهداف التي ننشدها والخطط التي نخطّطها، والكيفيّة التي نسلك بها"[١]. واللغة سبيل من سبل كشف هذه البنى، لا من حيث كونها مجرّد لغة، بل بوصفها دليلًا على لا وعينا الإدراكيّ، أي ما يوجّه سلوكنا، فالكلمات التي نعبّر بها موصولة بأنساقنا التصوّريّة، وحين تسمع كلمة ما فإنّ إطارها، أو مجموع أطرها يتحفّز في ذهنك[٢].

ولـمّا كان كتاب "السياسة الأخلاقيّة" موجّهًا بالأساس إلى الكشف عن رؤى العالم الليبراليّة والمحافظة فإنّ هذا الكتاب توجّهه غاياته إلى البحث في إعادة التأطير (reframing) أي "تغيير الكيفيّة التي ترى بها الجماهير العالم"[٣]، ويستدعي ذلك العمل على تعبيرات جديدة بالضرورة[٤].

تقتضي إعادة التأطير وجود أطر سابقة، هي أطر المحافظين في هذه الدراسة، ويتبلور خطأ الليبراليّين في أنّهم لم يصنعوا أطرهم الخاصّة، وألِفوا استعمال أطر المحافظين؛ ونتيجة لذلك أسهموا في ترسيخ أطروحات خصومهم فيما يظنّون أنّهم يفنّدونها. وهذا معنى "لا تفكّر في فيل"، وهو المثال الذي قدّمه لايكوف للبرهنة على أنّ الذي ترد عليه هذه العبارة لا

(١) المرجع السابق، ص٢٣.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٢٣.
(٣) المرجع السابق، ص٢٣.
(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٢٣.

يستطيع ألا يفكّر في فيل، إذ تسقط (لا) ويبقى الفيل حاضرًا في المخيّلة[١]. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الجدال بين المحافظين والليبراليّين (أو كما يسمّيهم في هذا الكتاب بالديموقراطيّين أو التقدّميّين)، فقد وجد التقدّميّون أنفسهم دائمًا في موضع الردّ والدفاع، نتيجة لمهارة المحافظين في استعمال اللغة[٢]، والقاعدة الكبرى في هذا الكتاب الذي أُريدَ له أن يكون دليل عمل تتمثّل في أنّ مقابلة الخصم بالرفض والإنكار قد ترسّخ دعواه ما لم يصحبها إعادة تأطير[٣].

ومن الأمثلة على ذلك ما تردّد في البيت الأبيض على لسان المحافظين بشأن "تخفيف الضرائب"، فالتأطير الخاصّ بكلمة "تخفيف" يستلزم وجود ابتلاء وعبء، والذي يعمل على "التخفيف" يكون "بطلًا"، ومن يقف في طريق البطل سيكون "شريرًا". هذا ما تستثيره كلمة تخفيف، وعند إضافتها إلى الضرائب نصبح إزاء استعارة تستلزم أن الضرائب بلوى، وأنّ المحافظين أبطال. وسريعًا ما انتقلت هذه الاستعارة، بعد سيرانها في التلفاز والإعلام، إلى التقدّميّين واستعملوها[٤]، وهم بذلك يقبلون الإطار الذي وضعه المحافظون، "ويطلقون النار على أقدامهم"[٥] كما يقول لايكوف.

وقد جدّ لايكوف، عند تحليله الأطر التي تستدعيها لغة المحافظين، في إيضاح الأساس الاستعاريّ الذي تقوم عليه، وهو إسقاط قيم أسرة (الأب

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٢٧.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٥٧.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١٦٠.
(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٢٨.
(٥) المرجع السابق، ص٢٨.

الصارم) على السياسة[١]، ودعا إلى ضرورة المعرفة باستعارات المحافظين وطرق تفكيرهم، من باب المعرفة بالخصم وفهم نسق تفكيره، وأوصى من يتصدّى لهم بأن يكون قادرًا على التعرّف على أطرهم من جهة، وأن يُعِدّ أطرًا يتحوّل إليها من جهة ثانية، وهذا يتطلّب تدريبًا وممارسة[٢].

في هذا السياق، يقرّ لايكوف للمحافظين بدربتهم وبراعتهم في استعمال اللغة، وينعى على التقدّميين زهدهم في هذا الجانب، ويقدّم العلم الإدراكيّ بما هو المخلّص لهم، وسبيل نجاتهم، فإذا كان الأمر، كما يقول، "اقتضى من المحافظين أكثر من ثلاثين عامًا، وبلايين الدولارات، وثلاثًا وأربعين مؤسّسة لكي يعيدوا تأطير النقاش الجماهيريّ من أجل أن يدور النقاش على أرضيتهم، نجد أنّ لدينا ميزة امتلاك العلم من جهتنا، إذ إنّنا نعرف من خلال العلم المعرفيّ ومن خلال اللغويات كيف فعلوا ذلك، كما نعرف كيف نستطيع أن نفعل للتقدّميّين مثلما فعلوه في مدى زمنيّ أقصر كثيرًا، وبموارد أقلّ كثيرًا"[٣].

ويتمثّل عمله في تسليط الضوء على قيم الوالديّة الراعية حال إسقاطها الاستعاريّ على العمل السياسيّ التقدّميّ، فأخلاق الوالديّة الراعية بما تتضمّنه من قيم ومبادئ الرعاية والحماية والإنصاف وما إلى ذلك عند إسقاطها استعاريًّا على السياسة سنكون بإزاء استعارة من شأنها أن توحّد التقدّميّين بمختلف التنويعات التي يكونون عليها، وهي تنويعات حاول لايكوف رصدها وتصنيفها[٤].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٣٤ وما بعدها.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٥٨، ١٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص١٤٨، ١٤٩.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص١٢٩ وما بعدها.

تأتي قيمة البحث فيما يوحّد الليبراليّين من كونها هي ما يستقطب الجماهير المنتخِبة، وهي ما يبحثون عنه، ولا يحتاج الليبراليّون إلى المداهنة في عرض قيمهم أو التزييف لإرضاء الجماهير، ولكنّهم يحتاجون إلى العمل على تأطير قضاياهم، أي صناعة إطارهم الخاصّ الذي يوحّد القضايا التي يتبنّونها، فالجمهور الأمريكيّ في معظمه لا يحرص على القضايا والبرامج بحدّ ذاتها بقدر حرصه على القيم والمبادئ التي تسير البلاد تحت لوائها، وقيم الليبراليّين، بحسب لايكوف، هي القيم التقليديّة لأمريكا، الأمر الذي يعني أنّ مجرّد الجهر بها وحسن الإفصاح عنها كفيل بإجماع معظم الأمريكيّين عليها، فهي التي تحدّد الأفق الذي يريد معظم الأمريكيّين أن تمضي بلادهم إليه، ومن ثمّ فإنّ القضيّة ليست خاصّة بحزب الليبراليّين فقط، بل إنّها قضيّة أمريكا، فقيم أمريكا وسياستها تقدّميّة (ليبراليّة)[١].

ومن البيّن فيما تقدّم، أنّ كتاب "لا تفكر في فيل" كتاب يُراد له أن يفعل، وأن يترك تأثيرًا يفضي إلى ردات فعل وتغيير، وهذا ظاهر في عناوينه الرئيسة والفرعية (تغيير الأطر، يجب تغيير أمخاخنا...)، وأفعال الأمر والنهي المدفوعة برغبة التوجيه للناشطين، وتبرز فيه وظيفة الفعل/ التأثير بالاستعارة في المجال السياسيّ.

(١) ينظر: المرجع السابق، ص١٢٩-١٣٦.

الخاتمة:

انخرط البحث في دراسة القضايا المرتبطة بتشابك الاستعاريّ في السياسيّ ضمن ما تتيحه نظريّة التصوّرات الاستعاريّة في تفاعلها مع الخطاب السياسيّ، وحدّد عددًا من الوظائف التي تنجزها الاستعارات فيه، وهي وظائف يخترق بعضها بعضًا، وجاء توصيفها بالتعداد على سبيل الاستعراض لا للفصل بينها؛ فقد تتآزر في الخطاب الواحد.

وتوجّه المبحث نحو فحص الجاهزيّة النظريّة والإجرائيّة لنظريّة التصوّرات الاستعاريّة في مقاربة الاستعارات السياسيّة، وتحليل الخطاب السياسيّ من خلالها، بما له من سمات قوليّة ومقاميّة ذات خصوصيّة لا تشارك فيها أنماط الخطابات الأخرى، وفي هذا الصدد، سلّط الضوء على المنزع النقديّ الذي برز جليًّا في تحليل الخطابات السياسيّة، لا سيّما في استثمار آليّة (الإظهار والإخفاء) في فهم الأحداث السياسيّة ونقدها.

استدعى البحث في هذه المسائل تقليب النظر في أعمال الروّاد التطبيقيّة في هذا المجال، ممثلة بثلاثة مؤلّفات للايكوف، ظهر فيها ارتكاز المؤلّف على نظريّة التصوّرات الاستعاريّة في فهم الخطاب السياسيّ. ومن أبرز النتائج التي أوصلنا إليها البحث:

١. لئن كانت الاستعارة ذات وظائف حاسمة في الخطاب السياسيّ فإنّ نظريّة التصوّرات المجازيّة بكشفها عن تلك الوظائف تؤدّي وظائف موازية أيضًا، فتتنبّأ بالمآلات الحربيّة الناتجة عن الخطابات الاستعاريّة، وتفسّر البرامج السياسيّة، وتحضّ على التغيير والفعل.

٢.ممّا يؤخذ على مقاربات رائد النظريّة "لايكوف" أنّها لم تتقيّد بمدوّنة مخصوصة تسبغ على نتائج التحليل قيمة إحصائيّة أكثر إقناعًا، وإن كان يحسب لها أنّها تعاملت مع نصوص حيّة وفاعلة، وليست مصطنعة.

٣.تحليل الخطاب السياسيّ من منظور نظريّة التصوّرات المجازيّة هو تحليل نقديّ بالضرورة.

***

المراجع

أوّلًا: المراجع باللغة العربيّة:

١. البوعمرانيّ، محمّد الصالح.

- تحليل الاستعارة النقديّ: قراءة في التصوّرات الاستعاريّة في "خطبة الهنديّ الأحمر" لمحمود درويش. ضمن كتاب: النصّ الشعريّ قراءات تطبيقيّة. بيروت: مؤسّسة الانتشار العربيّ، ٢٠١٦م.
- السيميائيّة العرفانيّة: الاستعاريّ والثقافيّ. تونس: مركز النشر الجامعيّ، ٢٠١٥م

٢. تايشينت، محمّد. الشعر والإيديولوجيا: مدخل إلى التحليل النقديّ للاستعارة. أيت ملول: منظّمة تاماينوت، ٢٠٢٠م.

٣. الحراصي، عبد الله. دراسات في الاستعارة المفهوميّة. مسقط: كتاب نزوى، ٢٠٠٢م.

٤. عبداللطيف، عماد. استراتيجيّات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسيّ: خطب الرئيس السادات نموذجًا. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ٢٠١٢م

٥. مفتاح، محمّد. مجهول البيان. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٩٠م

ثانياً: المراجع المترجمة:

٦. جيرارتس، ديرك. سويكنس، هوبيرت. مدخل إلى اللسانيّات المعرفيّة. ضمن كتاب: دراسات نقديّة في اللسانيّات المعرفيّة والتحليل النقديّ للخطاب: دراسات مترجمة. ترجمة: محمّد الملاخ. إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٢٠م

٧. ديرفن، ريني. بولزنهاجن، فرانك. جورج وولف، هانز. اللسانيّات المعرفيّة: الإيديولوجيا والتحليل النقديّ للخطاب. ضمن كتاب: دراسات نقديّة في اللسانيّات المعرفيّة والتحليل النقديّ للخطاب: دراسات مترجمة. ترجمة: محمّد الملاخ، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٢٠م.

٨. ستوكويل، بيتر. نحو لسانيّات معرفيّة نقديّة؟. ضمن كتاب: دراسات نقديّة في اللسانيّات المعرفيّة والتحليل النقديّ للخطاب: دراسات مترجمة. ترجمة: محمّد الملاخ. إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٢٠م.

٩. سيمينو، إيلينا. الاستعارة في الخطاب. ترجمة: عماد عبداللطيف، خالد توفيق. القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٣م.

١٠. لايكوف، جورج.

- حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل. ترجمة: عبدالمجيد جحفة، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠٠٥م.
- السياسة الأخلاقيّة: كيف يفكّر الليبراليّون والمحافظون، ترجمة: طارق النعمان، القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠٢٠م.
- لا تفكر في فيل: الخطاب السياسي بين المحافظين والتقدميين. ترجمة: طارق النعمان. القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥م.

١١. لايكوف، جورج. جونسن، مارك.

- الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة: عبد المجيد جحفة. ط٢. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠٠٩م.
- في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي. ترجمة: عبدالمجيد جحفة، بنغازي، وبيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠١٦م.

ثالثاً: مراجع بلغة أجنبيّة:

12. **Chilton, Paul. analysing political discourse: theory and practice. London and New York: Routledge, 2004**
13. **Chrteris-Black, Jonathan. politicians and rhetoric: the persuasive power of metaphor. 2nd ed, Basingstoke: palgrave macmillan, 2011**
14. **Hamrita, Mouna. the metaphorical and ideological representation of the political opponent in the hardline islamist discourse in Tunisia, journal of research in humanities and social science, 4(6), 2016, p95- 102.**

رابعاً: المجلّات العلميّة:

١. بوتكلاي، لحسن. الاستعارة في الخطاب السياسيّ. ضمن أعمال ندوة: قراءات في الخطاب السياسيّ في جامعة ابن زهر بأكادير- كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة- مختبر اللغة والمجتمع والخطاب. ٢٠١٦م، ص٤٩٧- ٥٤٦.

٢. صالح، حسام عبدالقادر. بلاغة الحرب في الخطاب الإعلاميّ: كوفيد-١٩ نموذجًا. مجلّة لباب للدراسات الاستراتيجيّة والإعلاميّة. السنة الثالثة، ع٩، فبراير ٢٠٢١م، ص١٢٩-١٣٦.

٣. عبد اللطيف، عماد. التأريخ عبر الاستعارة: مصر قبل الثورة في خطب الرئيس المصريّ الراحل محمّد أنور السادات (١٩٧٠-١٩٨١). مجلّة كليّة الآداب-جامعة القاهرة. مج٦٧، ع١، يناير ٢٠٠٧م، ص٦٥-٩٩.

٤. نجاح، وسيمة. الاستعاريّ في خطب علي بن أبي طالب السياسيّة. مجلّة حوليّات الجامعة التونسيّة. ع٤٨، ٢٠٠٤م، ص٢٤٣-٢٧٥.

***

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٢١٧
٢-	Abstract	١٢١٩
٣-	المقدمة:	١٢٢٠
٤-	من وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي:	١٢٢٥
٥-	أهميّة نظريّة التصوّرات الاستعاريّة في مقاربة الخطاب السياسيّ:	١٢٣٢
٦-	النزعة النقديّة في دراسة استعارات الخطاب السياسي:	١٢٣٧
٧-	دراسات التصوّرات الاستعاريّة في الخطابات السياسيّة: مؤلّفات لايكوف نموذجاً:	١٢٤٢
٨-	الخاتمة:	١٢٦٣
٩-	المراجع	١٢٦٥
١٠-	فهرس الموضوعات	١٢٦٨

تم بحمد الله